

التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية

تأليف

د . محمد بن عبدالعزيز المسند

شبكة نور الإسلام

الملخص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا بحث في المنافقين مختص بالحديث عن جانب من الجوانب المتعلقة بهذه الفئة الخطرة في المجتمع المسلم، ألا وهو: كيفية التعامل مع هذه الفئة، سواء على مستوى القادة والأمراء، أو على مستوى الأفراد والعامة، وقد قمت باستقراء أساليب التعامل مع المنافقين كما جاءت في القرآن الكريم، وجعلتها على شكل معالم، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

فأما المقدمة فتشتمل على أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجي في البحث..

وأما التمهيد فقد سميته (تعريف النفاق وأقسامه) وقسمته إلى مطلبين، المطلب الأول بينت فيه تعريف النفاق والمعالم. والمطلب الثاني بينت فيه أقسام النفاق .

وأما المبحثان:

فالمبحث الأول خصصته للمعالم الخاصة بالنبي ﷺ ومن يقوم مقامه من ولاة المسلمين وقادتهم.

والمبحث الثاني للمعالم العامة لجميع المسلمين.

ثم الخاتمة ، وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
فقد جرت سنة الله وحكمته البالغة أن يوجد في المجتمع المسلم منافقون، بل إن وجودهم في المجتمع المسلم دليل على صحة هذا المجتمع وسلامته، والشهادة له بالاستقامة في الجملة، إذ إن ظهور النفاق والمنافقين يتناسب تناسباً طردياً مع قوة الإسلام وأهله، فكلما قوي الإسلام في بلد؛ قوي النفاق واشتد، والعكس صحيح، ولهذا لم يكن في مكة قبل فتحها منافقون، إذ لا حاجة إلى النفاق في مجتمع مشرك كافر يستخفي فيه المؤمن أحياناً، كما يستخفي المنافق في بلاد الإسلام. ولما كان الأمر كذلك؛ كان لا بد من التعرف على الطرق والأساليب التي ينبغي أن يُعامل بها هذا العدو الخفي الماكر. وهذا ما سعيت إليه في هذا البحث.

أهمية الموضوع:

إن الحديث عن هذا الموضوع أمر في غاية الأهمية، وذلك أن المنافقين في المجتمع المسلم يخفي حالهم - كما سبق - على بعض الناس، لحرصهم الشديد على إخفاء ما يبطنونه من الكفر والنفاق، وتملقهم للعامة لكسبهم في معركتهم ضد المؤمنين الصادقين من أصحاب البصائر النافذة الذين لا تخدعهم أساليب المنافقين في التدسس والخداع، ولذا كان الحديث عن هذا الموضوع أمر في غاية الأهمية.

أسباب اختيار الموضوع:

1. أهمية هذا الموضوع لما سبق من خفاء المنافقين في المجتمع

المسلم..

خطورة الدور الذي يلعبونه في محاولة إضعاف دولة الإسلام، بل السعي إلى القضاء عليها، كما نبّه إلى ذلك ربنا لأ في كتابه الكريم في آيات كثيرة.

2. جهل كثير من الناس بالكيفية التي ينبغي أن يُعامل بها هؤلاء

المنافقين، لا سيما من ظهرت عليه علامات النفاق أو بعضها.

3. عدم وجود دراسة مستقلة تتناول هذا الموضوع حسب اطلاعي.

ولذا فإنّ من الشبه التي يثيرها بعض الناس قولهم: كيف نتعامل مع

هؤلاء المنافقين، وماذا نصنع بهم في المجتمع المسلم وهم يصلون

ويصومون معنا، لا سيما إذا كانوا من الطوائف المخالفة لأهل السنة من

باطنية أو عصرانية تظهر خلاف ما تبطن! وربما أثار هذه الشبهة بعض

أولئك المنافقين دفاعاً عن أنفسهم ووجودهم في المجتمع المسلم، وتلبساً على

العامّة، وترويجاً لفكرهم المنحرف.. وهذا ما دفعني إلى اللجوء إلى القرآن

الكريم، لاستقراء الآيات الواردة في التعامل مع المنافقين، والوقوف على

التوجيهات الربّانية في أساليب التعامل معهم، وقد قمت بجمعها فبلغ ما

جمعتها منها: خمسة عشر أسلوباً، وقد جعلتها على شكل معالم لتكون مناراً

للسالكين.

خطة البحث:

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

فأما التمهيد فقد سمّيته (تعريف النفاق وأقسامه)، وقسّمته إلى مطلبين،

المطلب الأول: بينت فيه تعريف "المعالم" والنفاق. والمطلب الثاني: بيّنت

فيه أقسام النفاق.

وأما المبحث الأوّل فقد خصصته للمعالم الخاصّة بالنبيّ x ومن يقوم

مقامه من ولاية المسلمين وقادتهم.

والمبحث الثاني للمعالم العامة لجميع المسلمين.

ثم الخاتمة ، وذكرت فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء لنصوص القرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الموضوع من التوجيهات الربّانية لنبيّ الرحمة x وللمؤمنين من خلال تعايشهم مع المنافقين، ثم صياغتها على شكل معالم.

أما منهج الكتابة فقد سلكت فيه ما يلي:

1. أذكر الآية أولاً، ثم أقوم بشرحها والتعليق عليها - بعد الرجوع إلى أقوال المفسرين فيها - . وربما ذكرت بعض أقوال المفسرين بنصّها دون تشعب أو تشتيت.
2. عند اختلاف المفسرين في معنى بعض الآيات أقوم بالترجيح حسب ما يظهر لي بالدليل والبرهان.
3. عند اشتباه بعض هذه المعالم ببعضها الآخر؛ أبين الفرق بينها حسب ما يظهر لي من الدلالات اللغوية والقرآنية، والأدلة الشرعية الأخرى.
4. عزوت جميع الآيات والأحاديث والآثار إلى مصادرها المعتمدة.
5. استشهدت ببعض أقوال السلف بياناً لمعاني بعض هذه المعالم.
6. شرحت الغريب من الألفاظ.
7. استشهدت ببعض الأخبار والقصص من السيرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم - ، مما يدعم المعنى ويقويه، وحرصت أن تكون من السيرة النبوية الصحيحة بقدر الإمكان.

8. حاولت بقدر الإمكان ربط هذه المعالم بواقعنا المعاصر، إذ إن ذلك من أجل مقاصد هذا البحث.

9. ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأسأل الله - عزّ وجلّ التوفيق والسداد، والإخلاص في القول

والعمل.

التمهيد

(تعريف النفاق وأقسامه)

المطلب الأول: تعريف النفاق

قال الزبيدي/ في تاج العروس⁽¹⁾: « النِّفَاقُ ككِتَابٍ: فِعْلُ الْمُنَافِقِ،

وهو الدّخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من آخر. وقد نَافَقَ مُنَافِقَةً ونِفاقاً. وقد تَكَرَّرَ في الحديثِ النِّفاقُ وما تصرفَ منه اسماً وفِعْلاً، وهو اسمٌ إسلاميٌّ لم تعرفه العربُ بالمعنى المخصوص به - وهو الذي يسئُر كُفْرَهُ ويُظهِرُ إيمانه - وإن كان أصله في اللغة معروفاً ».

قال ابن منظور في لسان العرب⁽²⁾: «... سمي المنافقُ مُنَافِقاً لِلنِّفَقِ

وهو السَّرَبُ في الأرض. وقيل: إنّما سمي مُنَافِقاً لأنه نَافِقٌ كاليربوع⁽³⁾، وهو

(1) 6958/1، مادة (ن ف ق).

(2) 357/10، مادة (ن ف ق).

(3) اليربوع دويبة فوق الجرذ، تمتاز بطول في ذنبها وأذنيها. ورجلاها أطول من يديها، والجمع (يَرَابِيعُ). والعامّة تقول: (جَرَبُوعُ). (ينظر: لسان العرب: 8/99 مادة: ربع، والمصباح المنير: 1/217، مادة الربع).

دخوله نافقاً. يقال: قد نفق به وناقق. وله جحر آخر يقال له القاصيعاء، فإذا طلب قَصَع فخرج من القاصيعاء. فهو يدخل في النافقء، ويخرج من القاصيعاء. أو يدخل في القاصيعاء، ويخرج من النافقء، فيقال: هكذا يفعل المنافق؛ يدخل في الإسلام، ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه». وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: «وناقق في الدين: ستر كُفْرُهُ وأظهرَ إيمانه» (1).

هذا هو معنى النفاق وحقيقته.

وأما المعالم فهي جمع مَعْلَم، قال ابن منظور: «والمَعْلَم ما جُعِلَ علامةً وعلماً للطُّرُق والحدود، مثل أعلام الحَرَم ومعالمه المضروبة عليه» (2).

وقيل: المعلم: الأثر (3). والمعنى متقارب، إذ الأثر لا يعدو أن يكون علامة يستدل بها على صاحبه. وهو - على التعريفين - أمر محسوس، واستعير في الأمور المعنوية كما في هذه المعالم القرآنية، إذا هي علامات معنوية ترشد إلى السبيل الأمتل في التعامل مع المنافقين. وقد جرى على ذلك بعض السلف فصنّفوا كتباً، ووسموها بذلك، كالخطابي في معالم السنن، والبغوي في معالم التنزيل وغيرهما.

المطلب الثاني: أقسام النفاق:

(1) 1196/1، مادة (ن ف ق).

(2) لسان العرب: 416/12، مادة (علم).

(3) ينظر: المصدر السابق.

يقسم العلماء النفاق إلى قسمين:

- النفاق الاعتقادي، وهو النفاق الأكبر، وحقيقته إضرار الكفر وإظهار الإسلام، وهو المذكور في القرآن. وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومن أبرز مظاهره: تكذيب الرسول x أو بعض ما جاء به. والمسرة بانخفاض دين الإسلام، والفرح بما يصيب المؤمنين من المصائب، والسعي إلى إقصاء الشريعة وإسقاط دولة الإسلام، مع مدّ الأيدي إلى الأعداء الخارجيين.
- النفاق العملي، وهو النفاق الأصغر، ومظاهره خمسة وهي المذكورة في الحديث الشريف: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان »، وفي رواية: « وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر »⁽¹⁾. وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكونُ فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر؛ صارَ بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه ما جاء في بعض روايات الحديث أنّ النبيّ x : « أربع من كُنَّ فيه كانَ منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه

(1) الحديث مخرَج في الصحيحين، ولفظه في روايات عدّة: « أربع من كُنَّ فيه.. » ولم يذكر هذه الخمس مجتمعة، وأكثر الروايات التي ذكرت الأربع ليس فيهنَّ « وإذا أؤتمن خان »، إلا رواية واحدة عند البخاري تُكر فيها هذا اللفظ بدل قوله: « وإذا وعد أخلف »، وهكذا في سائر روايات الأربع في غير الصحيحين لم يُذكر فيها « وإذا أؤتمن خان ». وفي صحيح مسلم وغيره رواية أخرى اقتصر فيها على ثلاث فقط، منها هذا اللفظ، وهي قوله: « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان »، والغالب أنّ هذه الخصال متلازمة، فإنّ الذي يحدث بالكذب مخلف للوعد، غير حافظ للأمانة والعهد، فاجر عند الخصومة. والله تعالى أعلم.

خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا أوتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر⁽²⁾.

• والحديث في هذا البحث إنما هو عن القسم الأول: (الاعتقادي). إذ هو المذكور في القرآن كما سبق، وأهله هم الأخطر، ولذا عُنِيَ القرآن الكريم بهتك أستارهم، وكشف خباياهم في مواضع وآيات متعددة من القرآن، ليكون المؤمنون منهم على حذر، وقد كان منهج القرآن الكريم في الحديث عن المنافقين التركيز على أوصافهم دون ذواتهم، حيث لم يذكر أحداً منهم بعينه، لأنّ الذوات قد تتغيّر وتتبدّل مع مرّ العصور، لكنّ الصفات ثابتة لا تتغير⁽¹⁾، فمهما تغيرت ذوات المنافقين، فإن الصفات باقية تفضحهم حيثما حلّوا وأينما رحلوا، وهذا من لطف الله لأحكامه، إذ إنّ النفاق شيء خفيّ في الأصل، والمنافقون متلوّنون وحذرون غاية الحذر، وفتح الباب للحديث عن الذوات قد يؤدّي إلى رمي بريء بما هو منه براء، بل إنّ المنافقين أحياناً ليرمون بعض المؤمنين بالنفاق ليبعدوا التهمة عن أنفسهم، لذا وجب إغلاق هذا الباب درءاً للفتنة، والله تعالى أعلم.

(2) ينظر في أقسام النفاق: الدرر السنية في الأجوبة النجدية: 72/2، وكتاب التوحيد لصالح الفوزان: ص23.

(1) ينظر: قواعد فقه التعامل مع المخالفين لسليمان الماجد: ص 53.

المبحث الأول

(المعالم الخاصة)

وهي الخاصة بالنبي X ومن يقوم مقامه من الولاة والقادة وأولياء الأمور.

وهي بإجمال:

المعلم الأول: جهادهم.

المعلم الثاني: الإغلاظ عليهم.

المعلم الثالث: ترك الصلاة عليهم أو القيام على قبورهم.

المعلم الرابع: منعهم من الخروج للقتال مع المؤمنين.

المعلم الخامس: إنكار التميع في الموقف من بعضهم.

المعلم السادس: النهي عن اتخاذهم بطانة.

المعلم السابع: عدم قبول اعتذارهم إذا اعتذروا.

التفصيل:

المعلم الأول والثاني: جهادهم والإغلاظ عليهم..

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:

73].. هذه الآية وردت في موضعين من القرآن، أحدهما في سورة التوبة،

وهي من أواخر ما نزل من القرآن. والثاني في سورة التحريم وهي من أوائل

ما نزل في المدينة حيث بدأ النفاق.

فأمّا جهادهم فيكون باللسان والبيان⁽¹⁾، وذلك بنحو الردّ عليهم وإفحامهم وإلزامهم بالحجة، لأنّ المنافق إنّما يتمسّح بالإسلام، ويصبغ حديثه بصبغة الدين تحقيقاً لنفاقه، وتليبساً على العامّة، فمجاهدته إنّما تكون بفضحه، ومقارنته بالحجّة الواضحة، حتى ينكشف عوارده، ولفظ الجهاد أعمّ من القتال، فلا يلزم من كلّ جهاد أن يكون قتالاً. وهذا النوع من الجهاد هو جهاد الخاصّة كما سمّاه الإمام ابن القيم، قال - رحمه الله تعالى -: « فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل. والقائمون به أفراد في العالم. والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عدداً؛ فهم الأعظمون عند الله قدراً »⁽¹⁾.

وإمّا الإغلاظ عليهم فيكون بالكلام الغليظ كشدة الانتهاز ونحوه كما قال غير واحد من السلف⁽²⁾. وقال ابن مسعود : « بيده، فإن لم يستطع فليكنفهر في وجهه »⁽³⁾.

والسرّ في الإغلاظ على المنافقين - والله تعالى أعلم - ؛ أنّهم قوم في غاية اللؤم والجبن والخسة، واللئيم إن أحسنت إليه ولاطفته ازداد لؤماً وشرّاً، وإن أغلظت عليه وزجرته، كُفيت شرّه، ولم يجرؤ على إظهار شيء مما يبطنه من الشرّ والفساد والتشكيك في الدين والمؤمنين.

(1) ينظر: زاد المسير: 3/ 469.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد: 3/ 5.

(2) ينظر: زاد المسير: 3/ 470.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 2/ 371.

وإنما جمع الله بين جهادهم والإغلاظ عليهم؛ توجيهاً لمن يرى ضرورة الرفق بهم وملاطفتهم، وإن كان ذلك يختلف باختلاف درجات النفاق، وأحوال المنافقين كما سيأتي، لكن يبقى الإغلاظ عليهم هو الأصل في التعامل معهم، والله تعالى أعلم.

وقد امتثل النبيّ ﷺ أمر ربّه في جهاد المنافقين والإغلاظ عليهم، فقد ذكر ابن إسحاق / في سيرته أسماء بعض المنافقين من الأنصار واليهود، ثم قال: «فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد، ويسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس، فرأهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب ألتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله -: أخرجني يا أبا أيوب من مربد⁽¹⁾ بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري، فلبّبه بردائه ثم نثره نثراً شديداً⁽²⁾، ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقاً خبيثاً. وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه

(1) المربد: المكان الذي تحبس فيه الإبل والغنم. (ينظر: لسان العرب: 3/ 170 مادة: ربد).

(2) لَبَّبَ الرجل: جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قَبَضَهُ وَجَرَّهُ. (لسان العرب: 1/

733، مادة: لبب). والنثر: الجذب بجفاء. (المصدر السابق: 5/ 190 مادة: نثر).

من المسجد، ثم جمع عمارةً يديه جميعاً فلدمه بهما لدمة⁽³⁾ في صدره خرّ منها، قال: يقول: خدشتني يا عمارة! فقال عمارة: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربنّ مسجد رسول الله x، وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدرياً- إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شاباً - وليس في المنافقين شاب سواه -، فجعل يدفع قفاه حتى أخرجه، وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو- وكان ذا جمّة⁽¹⁾- فأخذ بجمّته، فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا الحارث! فقال: إنك أهل لذلك أي عدو الله، لِمَا أنزل فيك، فلا تقربنّ مسجد رسول الله x فإنك نجس. وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث، فأخرجه إخراجاً عنيفاً، وأقف منه، وقال: غلب عليك الشيطان وأمره..⁽²⁾.

ولمّا بلغ رسول الله x أنّ ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي..، يثبّتون الناس عن رسول الله x في غزوة تبوك؛ بعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم،

(3) اللدم: الضرب والدفع، يقال: لدمت المرأة وجهها: ضربته. (ينظر: لسان العرب: 12/ 539، مادة (لدم).

(1) الجمّة: الشعر الكثير، وقيل: ما سقط من الشعر على المنكبين. (ينظر: لسان العرب: 104/12 مادة (جمم).

(2) ينظر: البداية والنهاية: 3/ 240، 241.

ففعل طلحة، فاحم أحدهم - وهو الضحّاك ابن خليفة - من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا⁽³⁾.

ولمّا انصرف x قافلاً إلى المدينة بعد غزوة تبوك، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل⁽⁴⁾ يروي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يقال له وادي المشفق، فقال رسول الله x : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى تأتيه »، قال: فسبّه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه، فلمّا أتاه رسول الله x، وقف عليه فلم ير فيه شيئاً، فقال: « من سبقنا إلى هذا الماء؟ »، فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان. فقال: « أو لم أنههم أن يستقوا منه حتى آتاه! »، ثم لعنهم ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء أن يدعو، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما أن له حساً كحسّ الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه⁽¹⁾.

هذا، ولا يلزم من الأمر بالإغلاظ على المنافقين، أن يكون ذلك في كلّ وقت، ومع كلّ منافق، ولهذا كان x يترفق برأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، ويحسن صحبته، عملاً بالسياسة الشرعية، فإنّه لما قال مقولته المعروفة: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ) وبلغ ذلك

(3) المصدر السابق: 3/ 5، 4.

(4) أصل الوشل في اللغة: الماء القليل الذي يخرج من بين الصخر، والجمع أوशल. (ينظر: لسان

العرب: 725 / 11، مادة: (وشل).

(1) البداية والنهاية: 18 / 5.

رسول الله x وعنده عمر c فقال: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ فقال رسول الله x: ((دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه !))⁽²⁾.

ولما جاء عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله x فقال:

يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن

كنت فاعلاً فمر لي به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان

بها من رجل أيز بوالده مني، وإنني أخشى به غيري فيقتله، فلا

تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل

مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله x: ((بل نترقق به، ونحسن صحبته

ما بقي معنا))، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه

ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله x لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من

شأنهم: ((كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنف لو

أمرتها اليوم بقتله لقتلته))، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله x

أعظم بركة من أمري⁽¹⁾.

ويشير ابن حجر / إلى السر في ذلك بقوله: « قال الخطابي : إنما فعل

النبي x مع عبد الله بن أبي ما فعل، لكمال شففته على من تعلق بطرف من

الدين ، ولتطبيب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح ، ولتألف قومه من

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6]: ص 1054، برقم: 4905، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً: ص 659، برقم: 2584.

(1) ينظر: البداية والنهاية: 4/ 157، 158.

الخزرج لرياسته فيهم» (2).

والمقصود أنّ جهاد المنافقين والإغلاظ عليهم لا يكون بقتلهم وقتالهم، وإنما بما دون ذلك ممّا ذكر.

المعلم الثالث: ترك الصلاة عليهم والقيام على قبورهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: 84].

قال الحافظ ابن كثير /: «أمر الله تعالى رسوله x أن يبرأ من المنافقين، وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات، وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له، لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه. وهذا حكم عام في كل من عُرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين» (1).

وقد أخرج الشيخان عن ابن عمر قال: «لما ترفي عبد الله، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله x فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقال رسول الله x ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله x فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله x: ((إنما خيرني الله فقال: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ، وسأزيده على السبعين)). قال: إنه منافق! قال: فصلي عليه رسول الله x ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ

(2) فتح الباري: 8 / 336.

(1) تفسير القرآن العظيم: 2 / 378.

عَلَى قَبْرِهِ ﴿ [التوبة: ٨٤] ﴾ (2).

قال الرازي / في تفسيره: « اعلم أنه تعالى أمر رسوله بأن يسعى في تخذيلهم وإهانتهم وإذلالهم، فالذي سبق ذكره في الآية الأولى، وهو منعهم من الخروج معه إلى الغزوات، سبب قوي من أسباب إذلالهم وإهانتهم، وهذا الذي ذكره في هذه الآية وهو منع الرسول من أن يصلي على من مات منهم سبب آخر قوي في إذلالهم وتخذيلهم. عن ابن عباس ب أنه لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاده رسول الله x ، فطلب منه أن يصلي عليه إذا مات ويقوم على قبره، ثم إنه أرسل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه، فأرسل إليه القميص الفوقاني، فردّه وطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه، فقال عمر r: لَمْ تَعْطِي قَمِيصَكَ الرَّجْسَ النَّجِسَ! فقال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ قَمِيصِي لَا يَغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُدْخَلَ بِهِ أَلْفًا فِي الْإِسْلَامِ)). وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله، فلما رأوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه، أسلم منهم يومئذ ألف، فلما مات جاء ابنه يعرفه فقال عليه الصلاة والسلام لابنه: ((صَلِّ عَلَيْهِ وَادْفِنِهِ))، فقال: إن لم تصلّ عليه يا رسول الله لم يصلّ عليه مسلم. فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه، فقام عمر فقال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه، فنزلت هذه الآية، وأخذ جبريل عليه السلام بثوبه وقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ﴾ (1).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا سَتَغْفِرُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]: ص971، برقم: 4670، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر: ص 616، برقم: 2400.

(1) مفاتيح الغيب: 16 / 121. والقصة التي ذكرها أخرج نحوها أبو داود في سننه: 2 / 201، برقم:

قال الإمام النووي /: « إنما أعطاه قميصه ليكفنه فيه تطيباً لقلب ابنه عبدالله، فإنه كان صحابياً صالحاً، وقد سأل ذلك فأجابته إليه. وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت ؛ لأنه ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصاً»⁽²⁾.

وهذا النهي عن الصلاة عليهم - والله تعالى أعلم - إنما هو للأئمة والقادة والعلماء وذوي الفضل، أما عامة الناس فلا حرج عليهم في الصلاة على أمثال هؤلاء ممن أظهروا الإسلام، ويخفي نفاقهم على كثير من الناس، لكن من ترك الصلاة عليهم من العامة، فلا حرج عليه. ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده أن النبي x كان إذا دعي لجنزة سأل عنها، فإن أتت عليها خير قم فصلى عليها، وأن أتت غير ذلك قال لأهلها: « شأنكم بها » ولم يصل عليها. ولم ينه عن الصلاة عليها⁽¹⁾.

τ - كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في

تفسيره - لا يصل

اليमान τ ه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبره بهم رسول الله x ولهذا

كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره⁽²⁾.

3094 بسند ضعيف كما قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود: 315 /1 : 681

قصّة القميص صحيحة، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (8 / 334): « وهذا مرسل مع ثقة رجاله ». وينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي: 2 / 92.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 167 / 15.

(1) 299 / 5 : 22608، وصح إسناده شعيب الأرنؤوط في تخريجه على المسند.

(2) تفسير القرآن العظيم: 2 / 498. وقد ثبت في الصحيح وصف أبي الدرداء لحذيفة بأنه صاحب

المعلم الرابع: منعهم من الخروج للقتال مع المؤمنين:

: ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَدُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [1]

هذه الآية نزلت في طائفة من المنافقين تخلفوا عن الغزو بلا عذر، وكان الله قد تبطهم عن الخروج لما في خروجهم من إلحاق الضرر بالمؤمنين ووقوع الفتنة، وبين ذلك سبحانه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [2] لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [3]

() في الآية ليست إخباراً عن غياب في المستقبل، ا هي في معنى النهي.

قال الحافظ ابن كثير / : ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ [] : « أي تعزيراً لهم وعقوبة »⁽¹⁾. فهو إخبار منه سبحانه في معنى النهي، للتعزير والمبالغة⁽²⁾.

x أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي x باب مناقب عمار وحذيفة:

768 : 3742.

(3) ينظر: جامع البيان: 6 / 438.

(1) تفسير القرآن العظيم: 2 / 498.

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 1 / 1630، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا

وإلى هذا ذهب القرطبي / ، فإنه قال في بيان معنى النهي في الآية: «
هم بالأصل أصحابهم أبداً وهو كما قال في سورة الفتح: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾
[:]» (3).

ولذا جمع بين (لن) و (أبداً) للتأكيد على منعهم من الخروج في
المستقبل للغزو مع المسلمين (4).

قال الشنقيطي صاحب الأضواء /: « عاقب الله في هذه الآية الكريمة
تخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يؤذن لهم في الخروج مع نبيّه، ولا القتال
معه x شؤم المخالفة يؤدّي إلى فوات الخير الكثير » (5).

/: « لا يستصحب الأمير معه مخدّ

وهو الذي يثبّ ويزهدهم فيه والقتال والجهاد
مثل أن يقول: الحرّ أو البرد شديد، والمشقة شديدة، ولا تؤمن هزيمة هذا
الجيش وأشبهه هذا. أ، وهو الذي يقول: قد هلكت سرية المسلمين
ومالهم مدد، ولا طاقة لهم بالكفار، والكفار لهم قوة ومدد ومسبر، ولا يثبت
لهم أحد هذا. ولا من يعين على المسلمين بالتجسس طلاعهم
على عورات المسلمين، ومكاتبهم بأخبارهم، ودلالتهم على عوراتهم
إيواء جواسيسهم. ولا من يوقع العداوة بين المسلمين، ويسعى بالفساد لقول

القرآن الكريم لأبي السعود: 4 / 89.

(3) : 8 / 199.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 1 / 1891.

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 2 / 147.

الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضَاعُوا لَوْلَاكُمْ﴾ [التوبة: 46] ولأن هؤلاء مضرّة على المسلمين، فيلزمه منعهم. وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له، ولم يرضخ، وإن أظهر عون المسلمين؛ لأنه يحتمل يكون أظهره نفاقاً، وقد ظهر دليله، فيكون مجرد ضرر، فلا يستحق ممّ شيئاً..» (1).

فإن قيل: إن من أبرز صفات المنافقين: التخلف عن الجهاد، واختلاق ، فكيف يَ تآذنون للخروج، وما وجه منعهم حينئذ؟ : أنهم ربّما استأذن بعضهم للخروج لتثبيط المؤمنين وإيقاع الفتنة بينهم كما فعل رأسهم وكبيرهم عبد الجيش.. بعضهم طمعاً في الغنيمة.. لكنهم لا يخرجون للقتال أبداً، لذا جاء التوجيه الربّاني بمنعهم من الخروج، والله تعالى أعلم. ومنعهم من الخروج يقتضي - أن لا يعينوا أصلاً في قيادة في الجيش ونحوه، لما في ذلك من الخطر على الدولة الإسلامية. المعلم الخامس: إنكار التميع في الموقف من بعضهم:

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَمْ تَرَوْا أَن تَهْتَدُوا مِّنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [:] . وهذا خاص بمن يقيم بين أظهر المشركين من أهل النفاق، ويتخذ من

(1) : 366 / 10.

ذلك ذريعة لحفظ نفسه في حال إقامته، وفي حال خروجه إلى بلاد المسلمين. ففي حال الإقامة يوافق المشركين في دينهم ومذهبهم، وفي حال خروجه للمسلمين يظهر لهم الإسلام نقيّة، وهذه النقيّة هي التي جعلت المؤمنين يختلفون في حال هؤلاء المنافقين ما بين مصدّق لهم ومكذب، فأنكر الله تعالى هذا التميّع في الموقف منهم، وقد ظاهروا الكفر، وأقاموا بين ظهرانيهم مع قدرتهم على الهجرة، ونهى عن إحسان الظنّ بهم واتخاذهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فإن لم يفعلوا؛ فقد أحلّ الله دماءهم وأموالهم، وردّهم إلى أحكام أهل الشرك، وهذا معنى قوله: ﴿وَأَنَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾⁽¹⁾، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [:] .

وقيل: «أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه. لما علم من وبهم»⁽²⁾.

ولا تعارض بين القولين، فإنّ الأوّل نتيجة للثاني، ومن لوازمه، والله

قال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا بمكّة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكّة يطلبون حاجة لهم، فقالوا:

(1) ينظر: جامع البيان: 4 / 194.

(2) : 1 / 270.

لينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس، وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد جوا من مكة قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الجبناء فاقتلواهم فإنهم يظهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى من المؤمنين:

قالوا -: أقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم؟ فكانوا كذلك ففتين، والرسول عندهم لا ينهي واحداً من الفريقين عن شيء، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَفِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾ (1).

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أخبار أخرى، بعضها لا يبعد عما بية يشملها جميعاً، والله تعالى أعلم (2).

ويلاحظ في هذه الآيات "استنكاراً لانقسام المؤمنين ففتين في أمر المنافقين، وتعجباً من اتخاذهم هذا الموقف، وشدة وحسماً في التوجيه إلى تصور الموقف على حقيقته، وفي التعامل مع أولئك المنافقين كذلك.

وكل ذلك يشي بخطر التمييم مسلم حينذاك - وفي كل موقف

مماثل- التمييع في النظرة إلى النفاق والمنافقين؛ لأن فيها تمييعاً كذلك في

الشعور بحقيقة هذا الدين. ذلك أن قول جماعة من المؤمنين: «سبحان الله!

- أو كما قالوا- أقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم

يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم!»، . . وتصورهم

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 3/ 1023، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 1/ 532.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 999، والمحزر الوجيز لابن عطية: 2/ 105.

للأمر على هذا النحو ، من أنه كلام مثل ما يتكلم المسلمون مع أن شواهد الحال كلها، ونول هؤلاء المنافقين : «إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس». وشهادة الفئة الأخرى من المؤمنين، وقولهم : « يظاهرون عدوكم » ؛ تصوّرهم للأمر على هذا النحو فيه تمييع كبير لحقيقة الإيمان ، في ظروف تستدعي الوضوح الكامل ، والسلم القاطع . فإن كلمة تقال باللسان، مع عمل واقعي في مساعدة عدو المسلمين الظاهرين؛ لا تكون إلا نفاقاً . ولا موضع هنأ للتسامح أو للإغضاء . لأنه تمييع للتصور ذاته . . وهذا هو الخطر الذي يواجهه النص القرآني بالعجب والاستنكار والتشديد البيّ (1) .

من هؤلاء المنافقين طائفتين:

- الطائفة الأولى: الذين لجنوا وتحيزوا إلى قوم بينهم وبين المسلمين مهادنة، أو عتة؛ فيجعل حكمهم كحكمهم. وهي التي عناها الله بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [:] .
- والطائفة الثانية: الذين يخرجون مع قومهم وصدورهم حصرة أي ضيقة، مبغضين أن يقاتلوا المسلمين، ولا يهون عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم مع المسلمين، بل هم لا للمسلمين ولا عليهم، فهاتان الطائفتان لم يبح الله دماءهم وأموالهم (2) .

(1) : 208 / 2 .

(2) ينظر: : 294 / 5 .

وأضاف الشيخ عبد الرحمن السعدي/طائفة ثالثة، فقال: «الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ أي: من هؤلاء المنافقين ﴿رِيدُونَ أَن يُؤْمِنُوكُمْ﴾ أي: خوفاً منكم ﴿وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ : يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رؤوسهم، وازداد كفرهم ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها، فإن الفرقة الثانية تركوا قتال الاحتراماً لهم لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفاً لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال ومنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتّضحاً عظيماً اعتزال المؤمنين وترك قتالهم؛ فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوا وَيُلْغُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ﴾ : المسالمة والموادعة ﴿وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُبُوا فِي سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هُمْ بِأَعْلَمُونَ﴾ [النساء: 91] أي: حجة بيّنة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم»⁽¹⁾.

المعلم السادس: النهي عن اتّخاذهم بطانة

، تعالى: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَّا تَخْذُوا بِطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَّا يَأْتُوكُم بِخَبْرٍ أَلَّا هُمْ ءَعَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [:] .

(1) تيسير الكريم الرحمن: 191. وينظر: 296/2.

وهذا على أحد القولين في الآية.

والقائي أنّ المقصود بالبطانة هنا: الكفار الصرحاء، من اليهود وغيرهم⁽¹⁾. ولا تعارض بن القولين، فالآية تحتملها جميعاً بناء على القاعدة المعروفة أنّ الآية إذا كانت تحتمل معنيين ولم يتنافيا؛ جاز حمل الآية عليهما جميعاً⁽²⁾. ولأنّ المنافقين كفار في الباطن، فلا فرق بينهم وبين الكفار الصرحاء إلا في إخفاء كفرهم.

قال مجاهد: « نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصفون المنافقين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك »⁽³⁾.

وقال قتادة: « نهى الله لأ المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين يؤاخوهم أو يتولواهم من دون المؤمنين »⁽⁴⁾.

وأصل البطانة في اللغة: ما يلي البدن من اللباس ونحوه⁽⁵⁾، فاستعير في اتخاذ الكافرين والمنافقين أولياء وتقريبهم وإطلاعهم على أسرار المسلمين.

قال الإمام ابن جرير: « وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل، فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه؛ لظوله منه . في إطلاعهم على أسرارهم وما

(1) ينظر: جامع البيان: 3/ 406 407 وزاد المسير: 219. وتفسير القرآن العظيم: 1/ 398.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 168، والتحرير والتنوير، القاعدة التاسعة: 2/ 134.

(3) ينظر: معالم التنزيل للبخاري: 1/ 95.

(4) ينظر: جامع البيان: 3/ 407.

(5) ينظر: 13/ 52 () .

يطويه عن أبعاده وكثير من أقاربه - محلّ ما ولي جسده من ثيابه »⁽⁶⁾.

الله المنافقين في هذه الآية والآيتين بعدها من وجوه :

• **أحدها:** أنهم لا يألون المؤمنين خبالاً، أي " يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكلّ ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة " ⁽¹⁾.

• **الثاني:** تهم العنت للمؤمنين، أي: ما يشقّ عليهم ويحرجهم ⁽²⁾.

• **الثالث:** ظهور البغضاء من أفواههم، بالشتيمة والوقية في أعراض المؤمنين، والتشكيك فهم عليه من الحقّ. أو بإطلاع المشركين والكفرة على أسرار المؤمنين. ليس هذا فحسب؛ فما تخفي صدورهم من العداوة والغيب للمؤمنين أكبر مما نطقوا بألسنتهم ⁽³⁾.

• **الرابع:** أنهم إذا لقوا المؤمنين أظهروا لهم الإيمان، وإذا خلوا عضدّ أناملهم من الغيب على المؤمنين الذين يحولون بينهم وبين تحقيق ما يصبون إليه من الكفر والفجور والفساد.

• **الخامس:** الاستياء مما يمسّ المؤمنين من الخير والنجاح والفرح بما يصيبهم من الشرّ والأواء.

وفي هذا دليل على خدرة المنافقين، وخطورة تقرّيبهم وتوليّتهم مناصب حسّاسة، أو اتّخاذهم أعواناً ومستشارين، وإطلاعهم على أسرار

(6) جامع البيان: 3/ 406. وينظر: المفردات في غريب القرآن: 62.

(1) تفسير القرآن العظيم: 2/ 398.

(2) ينظر: 4/ 174.

(6) ينظر: معالم التنزيل للبخاري: 1/ 95.

الدولة المسلمة، وهل سقطت الخلافة العباسية في بغداد، وسارت دماء المسلمين كالأنهار على يد التتار، إلا بتدبير من أحد الوزراء الباطنيين المدّعين للإسلام، الذين اتخذهم الخليفة بطانة من دون المؤمنين!!⁽¹⁾.

قال الإمام الذهبي /: « ثم إنه [أي الخليفة] استوزر المؤيد ابن العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، وحسن له جمع الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم.. »⁽²⁾.

ومثل ذلك حدث في الخلافة الإسلامية العثمانية، حيث اختار الإنجليز الرجل المناسب لإسقاط الخلافة، بعد مكر كبار، وصنعوا له انتصارات وبطولات وهمية، حتى تم إسقاط الخلافة، وتصنيم ذلك الرجل⁽³⁾.

أثبتت وقائع التاريخ الأحداث أنه ما من دولة إسلامية سقطت في القديم الحديث إلا وكان للمنافقين دور بارز في إسقاطها، بتواطئهم مع العدو المحتل، ومدّ اليد إليه، إضافة إلى العوامل الأخرى المؤدية إلى سقوط

(1) ينظر في هذه الحادثة: البداية والنهاية: 13 / 201. وينظر: موع الفتاوى لابن تيمية: 13 / 178 180، والتاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، لمحمود شاكر: 1 / 28، وكيف دخل التتار المسلمين.. الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية لسليمان العودة.

(2) سير أعلام النبلاء: 23 / 175.

(3) هذا الرجل هو مصطفى كمال أتاتورك، وهو من أصل يهودي، وقد تظاهر بالإسلام، ولا يزال الكثير من الأتراك يعظمونه إلى هذا اليوم.. وقد قال عنه الأستاذ مصطفى صبري شيخ الإسلام في تركيا آنذاك، بعد أن أخرج من البلاد والتجأ إلى مصر، وكان معاصراً له: «

إنكلترا مثله ولو جدت في طلبه؛ من حيث أنه يهدم ماديّات الإسلام وأدبيّاته ما لا تهدم إنكلترا نفسها
« ينظر: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية لعلي حسّون: 315 327.

المعلم السابع: عدم قبول اعتذارهم إذا اعتذروا:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ
وَأَيِّنُّهُ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ
طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾] : [66 .

فأمر الله نبيه x بالآلا يقبل اعتذارهم، بل أمره بأن يحكم عليهم بالكفر

لإظهارهم ما في قلوبهم من البغض للنبي x وأصحابه، واستهزائهم بهم.

وسبب نزول هذه الآيات ما أخرجه ابن جرير وغيره أن رجلاً

المنافقين قال لعوف بن مالك r : ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا

! فقال له عوف:

x! فذهب عوف إلى رسول الله x ليخبره، فوجد ا

قد سبقه، قال زيد: ب: إليه متعاً (1)

x تنكبه الحجارة يقول: ()! فيقول له

النبي x: ((أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ؟)) ما يزيده (2).

قال أبو حيان /: « نهوا عن الاعتذار ، لأنها اعتذارات كاذبة، فهي لا

(4) ينظر:

: 171

(1) (بالتحريك): الجزأ الذي يلي حَقْو البَعِير أي: خاصرته.) : 324/1

.(

(2) جامع البيان: 6 / 409. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: 7 / 313

الكبير: 85 / 19 : 173، وينظر: الدرّ النضيد في تخريج كتاب التوحيد لصالح بن عبد الله

العصيمي: 18.

« (3) .

/: » ()

الرسول أن يقوله ، وهي ارتقاء في توبيخهم ، فهي متضمنة توكيداً لمضمون ﴿أَبَلَلَهُ وَعَايَنَهُ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ، مع زيادة ارتقاء في التوبيخ وارتقاء في مثالبهم بأنهم تلبسوا بما هو أشدّ وهو الكفر ،

التي قبلها، على أنّ شأن الجمل الواقعة في مقام التوبيخ أن تقطع ولا تعطف لأنّ التوبيخ يقتضي التعدد ، فتقع الجمل المويّخ بها موقع الأعداد

فإنكم قد عرفتم بما هو أعظم وأشنع» (1).

فإن قيل: المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال: ﴿فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ﴾ .

أجاب عن ذلك الخازن / فقال: « قلت : معناه أظهرتم الكفر بعد ما

كنتم قد أظهرتم الإيمان، وذلك أنّ المنافقين كانوا يكتُمون الكفر ويظهرون

الإيمان ، حصل ذلك الاستهزاء منهم - وهو كفر - قيل لهم: قد كفرتم بعد

إيمانكم. وقيل: معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد أن كنتم عندهم مؤمنين »

(2)

ومن ذلك: عدم قبول اعتذارهم في التخلف عن الجهاد، مع توبيخهم

(3) ر المحيط: 53 / 5.

(1) التحرير والتنوير: 404 / 6.

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل: 118 / 3.

بقول بليغ كما سبق يصل إلى أعماق نفوسهم، قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي من الغزو. فقال الله لنبيه x : ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1] . ولعل الحكمة من ذلك: أن يعلم هؤلاء المنافقون أنَّ الأعيبهم لا تنطلي على النبي x والمؤمنين، وأنَّ خططهم مكشوفة، وأستارهم مهتوكة، فلا يتمادون في غيهم.

وإنما جمع ضمير المتكلم في الموضعين ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ﴾ ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ " للمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق رأساً ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلاً، فإن تصديق البعض لهم ما يطمعهم في تصديق الرسول أيضا x مصدقين. وللايذان بأنَّ افتضاحهم بين المؤمنين كاذب " (1).

هذا ما ظهر لي من المعالم الخاصة.

(1) إرشاد العقل السليم: 93 / 4.

المبحث الثاني:

(المعالم العامة)

وهي التي لا تختص بالولادة والقادة فقط، بل يشترك فيها جميع المؤمنين.

وهي بإجمال:

: الإعراض عنهم.

: موعظتهم.

: القول البليغ لهم.

: طاعتهم.

: ترك أذاهم.

: الحذر منهم.

: مقاطعة أوكارهم ومنتدياتهم.

: عدم الرضا عنهم مهما حلفوا من الأيمان.

المعلم التاسع: التحذير من السماع لهم، والتأثر بما يبثونه من الشكوك

والشبهات.

: النهي عن المجادلة عنهم.

التفصيل:

المعلم الأول إلى الثالث: الإعراض عنهم، وموعظتهم، والقول البليغ لهم:

قال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء:

. [

وقد جاء ذلك كله في سياق الحديث عن الحكم والتحاكم، فذكر رغبة

المنافقين أصحاب القلوب المريضة في التحاكم إطاغوت - كالكهّان
والرؤساء وأشباههم - وإعراضهم عن التحاكم إلى شرع الله، إلى درجة
الصدود الشديد، وهم الذين يزعمون الإيمان بما جاء به محمد x وحين تحلّ
بهم مصيبة تلجنهم إلى صاحب الشرع، فإنهم يحلفون زوراً وبهتاناً أنهم ما
أرادوا إلا الإحسان والتوفيق، وهم ما أرادوا إلا الفرار من الشرع والتلفيق!
وهذا هو دين المنافقين في كل زمان ومكان، فلا شيء أثقل عليهم من أحكام

الله التي تحول بينهم وبين ما يشتهون، ولهذا قال الله تعالى معقباً : ﴿
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي من الكفر والزبغ والنفاق⁽¹⁾. ثم بيّن
لنبيه طريقة التعامل مع هذا الصنف، فقال سبحانه: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ..

فأما الإعراض عنهم؛ ففيل هو ترك معاقبتهم في الدنيا⁽²⁾، اكتفاء
بظواهرهم، ولأنّ العقوبات إنّما هي كفارات لأصحابها، وهؤلاء جرمهم لا
كفارة له، إذ هم كفار في الباطن كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا فَطُعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [: .] . يشكل على هذا القول أمور:

• أحدها: أنّ المنافق تجري عليه الأحكام التي تـري على عامة

سلمين، لإظه

(1) ينظر: جامع البيان للطبري: 4/ 159، والوجيز للواحي: 1/ 272.

(2) ينظر: جامع البيان: 4/ 159، ومعالم التنزيل للبغوي: 2/ 244.

• الثاني: بالإعراض جاء في موضع آخر في حق المشركين

بمكة كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [] :

[

× مستضعفاً لا يملك عقابهم.

• الثالث: أن الأمر بالإعراض عنهم جاء موجهاً للمؤمنين أيضاً كما في

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّمَا رِجْسٌ ﴾ [] :

وقال بعض المفسرين: (أعرض عنهم)، أي: لا تقبل عذرهم⁽¹⁾.

وهو كسابقه، ترد عليه بعض الإشكالات السابقة، وقد سبق الحديث عن عدم

قبول عذرهم في معلم مستقل⁽²⁾.

وذهب بعض المفسرين إلى إن الإعراض هنا يحتمل أن يك

قلبياً وهو عدم الحزن من صدهم عنه، كأنه قال له: لا تهتم بصدودهم فإن

لله مجازيهم.. بدليل قوله: ﴿ وَعَظُّهُمْ وَقَوْلُ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء:

[⁽³⁾. وهو قول حسن ومتوجه.

سبق قريباً أن الأمر بالإعراض عنهم جاء موجهاً للمؤمنين بعد

رجوعهم من الغزو كما في قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّمَا رِجْسٌ ﴾ [] :

قال ابن جرير/ في تفسير هذه الآية: « يقول تعالى ذكره: سيحلف

(1) ينظر: معالم التنزيل: 244/2.

(2) ينظر: 28

(3) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: 175/4.

أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول
﴿إِذَا أَنْقَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم
فلا تؤنبوهم، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه للمؤمنين: فدعوا تأنيبهم،
وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق.. «(1).
عنهم بترك تأنيبهم، وهو فرع عن الإعراض القلبي، فإنَّ إعراض القلب
يقتضي ترك التأنيب واللوم الظاهر.

وأما الموعظة؛ فهي تذكيرهم بالله باللسان، وتخويفهم من عقابه في
الدارين، وترغيبهم في ثوابه إن آمنوا، فلعلَّ هذه الموعظة تُشفي قلوبهم
المريضة(2)..

وأما القول البليغ، فهو الذي يبلغ قرارة نفوسهم متغلغلاً فيها(3).
/: « : قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم، مؤثراً في
قلوبهم، يغمّون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعّد
بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق، وأطلع قرنه. وأخبرهم أنّ ما في
نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله، وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين،
وما هذه المكافة(4) ظهاركم الإيمان وإسراكم الكفر وإضماره، فإن

(1) جامع البيان: 6/ 449.

(2) ينظر: الوجيز: 1/ 272، وزاد المسير: 1/ 122..

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 4/ 175.

(4) : (ينظر: : 1/ 6103، والمغرب في ترتيب

: 2/ 226).

فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف»⁽⁵⁾.

ويلاحظ التدرج في هذه الأساليب الثلاثة؛ فالأول مجرد إعراض بلا قيل. والثاني مجرد وعظ وتذكير. والثالث: تهديد ووعد بالتتكيل، والله تعالى

ويرى بعض أهل التفسير أنّ الموعظة تكون على الملأ، والقول البليغ يكون في حال السرّ، أي: " انصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم"⁽¹⁾. وهو محتمل، والله تعالى أعلم.

المعلم الرابع والخامس: عدم طاعتهم، وترك أذاهم:

: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ ﴾ [:] .

فأما عدم طاعتهم فواضح، فإنهم لا يأمرؤن - في الغالب - إلا بما فيه ضرر على الإسلام والمسلمين.

وأما ترك أذاهم، فيحتمل معنيين كما ذكر المفسرون، أحدهما: الصبر على أذاهم وتحمل ما يصنعهم من أذى. والثاني: ترك مجازاتهم على الأذى الصادر منهم، وأن يكل أمرهم إلى الله فهو كافيه سبحانه. وهذا الثاني هو الأظهر، وهو الذي يدل عليه السباق والسياق، فإن هذا الأمر جاء بعد

الإشارة بأنه مبعوث بالبشارة قبل النذارة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب:] ﴿ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضَلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:

(5) : 276 / 277.

: 265 / 5.

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 1/ 519.

[، وهذا يقتضي الصفح والتجاوز. ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وهو مناسب لترك أذى هؤلاء، فإنه وإن ترك أذاهم على سبيل المقابلة؛ فلن يضرّوه شيئاً إذا كان الله وكيله وكافيه.

وهذا لا ينافي ما سبق من الأمر بالإغلاظ عليهم، فإن حسب ما يقتضيه الحال أحياناً، لكن يبقى ترك أذاهم هو الأصل والغالب في التعامل معهم.

والفرق بينه وبين الإعراض عنهم؛ أنّ الإعراض عنهم يكون بالقلب كما سبق ترجيحه⁽¹⁾، فهو عمل قلبيّ. أمّا ترك الأذى فهو عمل ظاهر لا يتعلق بالقلب، بأن لا يعاقبهم؛ إمّا ابتداءً، وإمّا على وجه المقابلة. /: « أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم... »⁽²⁾. وهكذا قال غيره⁽³⁾.

وفسر مجاهد⁽⁴⁾ وهو على سبيل تقريب المعنى، وإلا فإنّ الإعراض أعمّ من ترك الأذى كما هو ظاهر.

فإن قيل: فكيف يدع أذاهم وهو مأمور بقتالهم لا سيّما الكفار؟ وهل هذا

منسوخ بآية السيف؟

(1) ينظر: : 35.

(2) : 179 / 14.

(3) ينظر: معالم التنزيل للبعوي: 361/1، والوجيز للواحي: 869/1، وزاد المسير لابن 400/6.

(4) ينظر: جامع البيان: 307 / 10 : 359 / 5.

فالجواب: أن هذا إعراض خاص لا عموم له، وذلك بأن يترفع عن مواذنتهم على ما يصدر منهم في شأنه من مثل السباب والشتم ونحو ذلك مما لا ضرر فيه على الدولة الإسلامية. فليست آيات القتال بناسخة له⁽⁵⁾.

المعلم السادس: الحذر منهم:

: ﴿هُرِّمُوا الْعَدُوَّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [:] .

فحصر العداوة فيهم، مع وجود غيرهم من الأعداء الخارجيين، وليس المراد الحصر التام الذي لا يدخل فيه غيرهم، وإنما المراد إثبات الأولوية حقيقة لهم في هذا الوصف. - أن العدو الخارجي لا قدرة له - في الغالب - على النفوذ إلى المجتمع المسلم إلا عن طريق هؤلاء المنافقين، فرتب على ذلك الحذر منهم ومن كيدهم، وعلاقاتهم المشبوهة مع الأعداء، وهذا يقتضي إبعادهم عن مواطن النفوذ في المجتمع الإسلامي، وعزلهم عن الوظائف الحساسة في الدولة الإسلامية..

قال الإمام ابن القيم / في قوله تعالى: ﴿هُرِّمُوا الْعَدُوَّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾: «ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد لها هنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم؛ بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار، ونصب لهم العداوة، وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 21 / 285.

شرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم؛ أشدّ عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأنّ الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً، يدئون العدو على عوراتهم، ويتربّصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحقّ بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل (هم العدو فاحذرهم) لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحقّ بأن يكونوا لكم عدوّاً من الكفار المجاهرين»⁽¹⁾.

وقال الشنقيطي/ موضحاً حقيقة هذا الحصر في الآية : « فيه ما يشعر بحصر العداوة في المنافقين مع وجودها في المشركين واليهود إظهار المشركين شركهم وإعلان اليهود كفرهم ا هؤلاء فادعأؤهم الإيمان وحلفهم عليه قد يوحى بالركون إليهم ولو رغبة في تأليفهم فكانوا أولى بالتحذير منهم لشدة عداوتهم داخلتهم مع المسلمين ممّ يمكنهم من الاطلاع على جميع شؤونهم»⁽¹⁾.

وقد امتثل النبي x هذا الأمر، فكان شديد الحذر من هذه الشرذمة المندسّة في الصفّ المسلم، ومن ذلك أنه كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها⁽²⁾

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين: 374.

(1) أضواء البيان: 8/ 198.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها.. :

598 : 2947، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه: 703

2769 : τ. والتورية: أن يظهر غير ما يريد. - رحمه

: ((والتورية أن يذكر لفظاً يحتمل معنيين؛ أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب وهو

حفظاً لأسرار الدولة أن يطلع عليها أهل النفاق وغيرهم،

المعلم السابع: مقاطعة أوكارهم ومنتدياتهم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالرِّصَادَا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ أَتْمَهُمْ

لَكَذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] ثم قال سبحانه وتعالى موجهاً رسوله تجاه هذه

الظاهرة: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [

: إلى آخر الآيات .

فهذا المسجد الضرار بناه المنافقون في المدينة ليضاهي مسجده ×

وليكون مقراً ووكراً لتجمعاتهم المشبوهة، وليحدثوا الفرقة بين المؤمنين كما

نصت على ذلك الآية الكريمة، ثم إنهم جاءوا ليستغفوا رسول الله × فطلبوا

منه أن يصلي فيه مفتحاً له ليكتسب الشرعية بذلك، فيقبل عليه العامة من

المؤمنين من أصحاب القلوب الطاهرة، فيشككهم في دين الله، ويصرفهم

عن مجالس الحق والإيمان في مسجده × ولهذا جاء الأمر الحاسم من الله لأ

بالنهي عن القيام فيه نهياً أبدياً، فما كان منه × إلا أن أمر بهدمه وحرقه على

من فيه، فخرجوا منه ين هاربين كالجرذان..⁽¹⁾ وكان ممن بنى هذا

المسجد منافق يقال له جارية بن عامر وابناه يزيد ومجمع، وكان مجمع

يريد البعيد)) (: 8 / 117)، وينظر: : 42 / 11 .

(1) ينظر في سبب النزول: جامع البيان: 6 / 469 : 285

النزول للسيوطي: 1 / 115 وعزاه إلى ابن مردويه.

غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن، وكان يصلي بهم، فلما خرب مسجد
عد غزوة تبوك، وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلي
بهم مجمع، فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فحلف
بالله: ما علمت بشيء من أمرهم. فتركه عمر، فصلى بهم..⁽²⁾

وقد بين الله الأغراض التي من أجلها أقيم هذا المسجد، وهي أربعة:

- **أحدها:** ﴿ضَرَاكًا﴾ للمؤمنين.
- **الثاني:** ﴿وَكُفْرًا﴾، أي بالله ورسوله، وطعناً فيهما.
- **الثالث:** ﴿وَتَقْرِبَاتٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقد كان الجميع يصلون في مسجد واحد وهو قباء، فبنوا هذا المسجد ليصلي فيه بعض المؤمنين، فتحدث الفرقة ، هذا مع ما سيثبونه فيه من شكوك وشبهات.

• **الرابع:** ﴿وَأَرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، وهو أن يكون هذا المسجد مكان رصد وانتظار وإعداد وإعانة لكل موتور وحاقد ومارق عن دين الله ومحارب له، ليكتمل لهم ما أرادوا من الكيد والمكر لدين الله⁽¹⁾.

فما أخرج العلماء والدعاة اليوم إلى الاقتداء بنبئهم وامثال أمر ربهم بترك القيام في مساجد الضرار العصرية، سواء سميت مساجد أو مدارس أو نوادي أو منتديات أو قنوات فضائية، فهي ما لم تؤسس من أول يوم على تقوى من الله ورضوان، لهي أحق بأن لا يقوم فيها الدعاة مهما كانت

(2) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: 3/ 239.

(1) ينظر: معالم التنزيل: 4/ 94، ومفاتيح الغيب: 16/ 154.

المسوغات والغايات، والمصالح المرجوة، فإن مفاصد القيام فيها أكبر بكثير من المصالح المرجوة، ودرء المفاصد مقدّم على جلب المصالح كما هو مقرّر في القواعد الشرعية⁽²⁾.

فإن قال قائل: × يغشى مجالس الكفار ومنتدياتهم..

فالجواب: أنّ غشيان مجالس الكفار ليس كالقيام في مساجد الضرار من وجوه عدّة، منها:

1. أنّ مجالس الكفار ومنتدياتهم لا يلتبس أمرها على المؤمنين، بخلاف مساجد الضرار، فقد يلتبس أمرها على بعض المؤمنين كما سبق بيانه.

2. أنّ الداعي في مجالس الكفار يقتحمها اقتحاماً فيعرض نفسه، ويطرح ما يريد، في الوقت الذي يريد دون إملاءات أو شروط أو مداهنة، بخلاف القائم في مساجد الضرابته له دوراً مرسوماً لا يُسمح له بتجاوزه، وفي وقت محدد قد لا يكون هو الذي يختاره.

3. أنّ القائم في مجالس الكفار ليس ممثلاً لها ولا متحدثاً باسمها كضيف

شرف، بخلاف القائم في مساجد الضرار، فإنه يقوم ممثلاً لها، وضيف شرف فيها ممّا يعطيها الشرعية التي يريد لها أصحابها للتلبس على

لمسلمين.

هذه أهمّ الفروق بين مجالس الكفار ومساجد الضرار، ولذا لم ينه الله نبيه

عن غشيان مجالس الكفار، ونهاه عن القيام في مساجد الضرار.. بل إنّ الله

(2) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: 4 / 272.

لأدنى ذنب لله نبيّه x عن حضور مجالس الكفار التي يُتَهَزَأُ فيها بآيد
الله، فقال - سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي
حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُشِيطُنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:]
وإذا كان هذا في حق مجالس الكفار التي لا التباس فيها على مسلم؛ فكيف
بمساجد الضرار وأشباهها التي يخفي حالها على كثير من المسلمين، وقد
- للنيل من هذا الدين، وهدمه من أساسه، وربما تحت
لافتات إسلامية ظاهرة، يشارك بعض الدعاة في إرسائها والدعوة إليها
واعطائها الشرعية، إنما بحسن نية، أو طلباً لآلة الخفية: حبّ الظهور
والشهرة!! في غفلة عن كيد المنافقين ومكرهم، وربما خالف في ذلك بعض
الدعاة، ويبقى لكل رأيه واجتهاده، والله تعالى أعلم.

المعلم الثامن: عدم الرضا عنهم مهما حلفوا من الأيمان:

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرَضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [:] .

وقد أخبر الله سبحانه في آية أخرى أنهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ليرْضَوْكُمْ
﴾ ، فأنكر الله عليهم ذلك بقوله في تمام الآية: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَوْهُ إِن
كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] .. وهذه الأيمان في الحاليين تدلّ على
اضطراب المنافقين في المجتمع المسلم، وسعيهم الحثيث لحماية مصالحهم
الشخصية والشهوانية بهذا الأسلوب الرخيص من الأيمان الكاذبة، ذلك بأنهم
يشعرون بالغرابة الشديدة في المجتمع المسلم المحافظ، فلا يملكون إلا الكذب
والنفاق، وقد كشف الله حقيقتهم بقوله في موضع آخر: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ

لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوكَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَابًا أَوْ
مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿التوبة: 56، ٥٧﴾. أفتبعد هذا يرضى المؤمنون
عنهم؟!.

قال البيضاوي/ بعد تفسيره لقول الله تع : ﴿يَجِلُّونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا
عَنَّهُمْ﴾ ﴿التوبة: [: « والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاعتراض
بمعاذيرهم بعد الأمر بالأعراض وعدم الالتفات نحوهم »⁽¹⁾.
وقال ابن عاشور/ : « وهذا تحذير للمسلمين من الرضى عن المنافقين
بطريق الكناية إذ قد علم المسلمون أن ما لا يرضى الله لا يكون للمسلمين أن
يرضوا به »⁽²⁾.

وقال ابن أبي السعود / : « والمراد به نهى المخاطبين عن الرضا عنهم
والاعتراض بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه أكده، فإن الرضا عم
يرضى نه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن. وقيل: ما قيل ذلك لئلا
يتوهم متوه رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى »⁽¹⁾.

والآية محتملة للمعنيين حسب حال المؤمنين من علمهم بحال أولئك
المنافقين أو جهلهم به، ففي حال العلم يتوجب عدم الرضا عنهم، وفي حال
الجهل فإن رضا المؤمنين لا ينفعهم، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: فما الفرق بين عدم الرضا وبين الإعراض عنهم كما سبق في

(1) أنوار التنزيل: 1670.

(2) التحرير والتنوير: 1/ 1900.

(1) السليم: 94 / 4 95.

فالجواب: أن عدم الرضا عنهم لا يقتضي الإعراض على المعنى الذي رجّحته وهو عدم الحزن من صدودهم، فقد لا يرضى عنهم، ويظلّ حزيناً من صدودهم وإعراضهم، ومما يدل على الفرق: أن الله لا ذكر الأمرين في آيتين متتابعتين، فقال في الأولى: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ رَجَسُوا﴾ [التوبة:]، وقال في الثانية: ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:] . ولو كان الإعراض هو عدم الرضا لاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر

..

المعلم التاسع: التحذير من السماع لهم، والقبول لما يثبونه من الشكوك والشبهات:

: ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [:] .

أي: فيكم أيها المؤمنون من يستجيب لهم، ويتأثر بما يثبونه من الشكوك والشبهات، ويقبلها. وهذا على أحد القولين في الآية⁽¹⁾، وهو اختيار شيخ

(1) اختاره الواحدي في الوجيز: 1/ 466، وابن كثير: 2/ 475 : 3/ 329

: 2/ 418 : 3/ 244. القول الثاني: أن المراد بقوله: ﴿سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ :

الأخبار إليهم بمثابة الجواسيس، واختاره الطبري: 6/ 384 : 8/ 157، وغيرهما. وحثّهم أن الأغلب من كلام العرب في قولهم () أن يصفوا به من يسمع الكلام لغيره..

شيخ الإسلام هو الراجح، لدلالة السياق عليه، فإن سياق الآيات كله في المنافقين، وفضح أحوالهم وخباياهم، فلما قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ ل على أن هؤلاء السماعين ليسوا منهم، ويؤيد هذا المعنى أن المنافقين ليسوا بحاجة إلى من يسمع لهم، فهم مندسّون في الصف المسلم، يسمعون بأنفسهم ما يجري. (ينظر: اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند: 517-

الإسلام ابن تيمية /، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ التوبة:
ه متضمّ ة ، كما ق
: [»

لسان عبده (سمع الله لمن حمده) أي: استجاب لمن حمده وكذلك ﴿سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ : مطيعون لهم «(2).

وقال الحافظ ابن كثير - عليه رحمة الله: « ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ : مطيعون لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحنونهم، وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير «(3).

والمقصود: أن هذا خبر في معنى النهي، أي: لا تسمعوا لهم، ولا تقبلوا ما يبثونه من شكوك وشبهات حول الدين والدعوة وخلص المؤمنين، ليقعوا الفتنة بينكم.

فإن قيل: كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع ما علموه من التحذير من المنافقين

فالجواب: أن ذلك قد يحصل إما لحدائثة عهد بالإسلام، أو لقرابة توجب حسن الظن والتقدير، أو لغفلة وسذاجة وجهل بالواقع من قبل بعض

(519). وقد أكد ذلك شيخ الإسلام بقوله: « وبعض الناس يظن أن المعنى: سَمَّعُونَ لأجلهم، بمنزلة . : يسمعون ما يقول، وينقلونه إليهم، حتى قيل لبعضهم: أين في القرآن (الحيطان لها (في قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾! وكذلك قوله: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [: [ليكنبوا: أن اللام التعديّة، لا لام التبعيّة. وليس هذا معنى الآيتين، وإنما المعنى: فيكم من يسمع لهم، أي: يستجيب لهم ويتبعهم». (: 129/25.

(3) تفسير القرآن العظيم: 475/2.

المؤمنين، لا سيما مع تفنن المنافقين في الخداع والتمويه والتظاهر بالصلاح والتقى مما قد ينطلي على بعض المبنين الطيبين⁽¹⁾. ومن ذلك أنهم - المنافقون - قد يقسمون الأيمان المغلظة على أنهم ما أرادوا إلا الخير كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ [التوبة: ١٠٧] ، فأبي تلبيس من هذا التلبيس!

المعلم العاشر: النهي عن المجادلة عنهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿هَاتِئِنَّهُم مِّثْلُ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلْ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [: 107] .

نزلت هذه الآيات في رجل من المنافقين، سرق متاعاً ودرعاً، ففتضح أمره بقرينة واضحة رآها بعض القوم، بذلك النبي x ، فجاء بعض أصحابه فجادلوا عنه، وأنهموا رجلاً بريئاً من اليهود، حتى غضب عليه الصلاة والسلام، وأوشك على تبرئة هذا المنافق عملاً بالظاهر، فنزلت هذه الآيات في بيان حقيقة الأمر، والنهي عن المجادلة عن أهل الـ .

أخرج ابن جرير بسنده عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [:] : كان رجل سرق درعاً من حديد في زمان النبي x وطرحه على يهودي، فقال اليهودي: والله ما سرقته يا أبا القاسم، ولكن طرحت علي! وكان للرجل الذي سرق جيراناً

(1) ينظر: 109 / 10 .

يبرؤونه ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله، إن هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به! قال: حتى مال عليه النبي x ببعض القول، فعاتبه الله لا في ذلك فقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْجَائِنِينَ خَصِيمًا ۗ ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ۗ ﴿١٠٦﴾ بِمَا قُلْتَ لِهَذَا الْيَهُودِيِّ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ ﴿١٠٨﴾ [النساء: 105، 106] ، ثم أقبل على جيرانه فقال: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ فَقْرَأُ حَتَّىٰ بَلَغَ ۗ ﴿١٠٩﴾ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۗ ﴿١١٠﴾ [: (1)] .

ففي هذه الآية العظيمة نهي صريح عن المجادلة عن أهل النفاق، والدفاع عنهم لما جُبلوا عليه من الكذب والخديعة وقلب الحقائق، وخيانة الأمانات، لا سيما في مواجهة المؤمنين الصالحين أصحاب القلوب الطاهرة والسرائر النظيفه، وقد تحمل القرابة أو العصية القبلية بعض ضعاف الإيمان على الوقوف مع المنافقين والمجادلة عنهم، وذل ينفعهم في الدنيا ؛ لكنه لن ينفعهم يوم الدين يوم لا تخفى من الناس خافية. ولهذا قال القرطبي /: « قال العلماء: لا ينبغي إذا ظهر للمسلمين نفاق قوم أن يجادل فريق منهم فريقاً عنهم ليحموهم ويدفعوا عنهم، فإن هذا قد وقع على عهد النبي x وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْجَائِنِينَ خَصِيمًا ۗ ﴿١٠٥﴾ [: (1)] .

وما أكثر اليوم من يجادل عن أهل النفاق إما بحسن نية، وطهارة قلب، لما برع فيه أهل النفاق لتلون والتمويه والخداع. وإما بسوء نية وفساد

(1) ينظر: جامع البيان: 265 / 4

(1) : 357 / 5

في الطويّة. كفانا الله شرّ النفاق وأهله.

/: «وأعلم أنّ في الآية تهديداً شديداً، وذلك لأنّ النبي - عليه الصلاة والسلام - لما مال طبعه قليلاً إلى جانب طعمة، وكان في علم الله أنّ طعمة كان فاسقاً؛ فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من إعانة فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالماً ثمّ يعينه على ذلك الظلم بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشدّ الترغيب!» (2).

فإن قيل: ﴿لِلْخَائِبِينَ﴾ ﴿يَخْتَاوْنَ﴾

فالجواب: ه جمع ليتناول طعمة وكلّ من خان مثل خيانته. أو ليتناوله وقومه الذين شاركوه في الإثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه وهم يعلمون خيانتته(3).

وفي هذه القصة تتجلى عظمة الإسلام دين العدل والإنصاف، فكفر هذا اليهودي - مع ما عُرف عن اليهود من عداوتهم للإسلام وتربصهم به، لم يمنع أن تنزل هذه الآيات البيّنات في إحقاق الحق، وتبرئة هذا اليهودي المظلوم ممن ظلمه، حتّى ولو كان الظالم منتسباً إلى الإسلام ظاهراً، فله

وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإسلام، مقيمين للعدل، متحلّين بالإنصاف،

ولو مع الأعداء، لا سيّما إذا كانوا في مجتمع واحد، وفي هذا يقول الله لأ

مؤكّداً هذا المعنى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا

(2) مفاتيح الغيب: 28 / 11. وطعمة هو ابن أبيرق وهو السارق الذي نزلت فيه الآيات.

(3) ينظر: تفسير السراج المنير للشربيني: 1 / 265.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْٓا اَعْدِلُوْٓا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاَتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ
اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١٠﴾ [:] .

هذا ما ظهر لي من المعالم رأية (الخاصة والعامة) في التعامل مع المنافقين، وهي كثيرة ومتنوعة. وليس بالضرورة أن يُعمل بها كلها في جميع منافق أو متخلق بأخلاق أهل النفاق، وإنما يُسلك فيها مسلك السياسة الشرعية كما سبق بحسب ما تقتضيه الأحوال والمآلات،

وبعد؛ فما كان من هذه المعالم صواباً فهو من توفيق الله تعالى، وما كان منها من خطأ، فهو من نفسي ومن الشيطان، فأسأل الله العفو والمغفرة..

الخاتمة

في ختام هذا البحث الموجز؛ هذه أهم النتائج التي توصلت إليها:
1. إن المنافقين في المجتمع المسلم هم أخطر عدو يسعى إلى تقويض هذا المجتمع، وبت الفرقة بين أفرادها، ومدّ اليد إلى العدو المتربّص.

2. ضرورة فقه التعامل مع المنافقين المندمسين في الصف المسلم، وأغيب هذا الفقه يؤدي إلى تمكّن أولئك المنافقين، ونجاح مساعيهم الحثيثة في تقويض المجتمع المسلم كما سبق، وهذا ما تهدف إليه هذه الدراسة.
3. أنّ القرآن الكريم اشتمل على معالم واضحة في التعامل مع المنافقين والتصدي لهم، وهي مبنوثة في ثنايا الآيات السور، ولعل أبرزها ما قمت بجمعه وتوضيحه في هذه الدراسة.
4. ضرورة الحذر من المنافقين، وإجراء هذه المعالم في التعامل معهم، بحسب ما تقتضيه السياسة الشرعية.
5. أنّ المسؤولية الكبرى في التصدي للمنافقين، وكبح جماح أذاهم ومكرهم تقع - على عاتق القادة والرؤساء الذين بأيديهم الحل والعقد، وإن كان للعامة نصيب من ذلك، بحسب وعيهم ومراكزهم في المجتمع ومستوياتهم العلمية والفكرية.
6. ضرورة الحزم في التعامل مع المنافقين، واتخاذ موقف صارم منهم، لا سيما من ظاهروا الأعداء، وأقاموا بين ظهرائهم، ولم يهاجروا إلى بلاد الإسلام - مع قدرتهم -، وهم يزعمون أنهم مسلمون، واتخذوا من النفاق ذريعة للعب على الحبلين كما يقال.
7. أنّ جهاد المنافقين، وفضح مخططاتهم وأوكارهم من أعظم القربات عند الله، لما فيه من دفع خطر عظيم عن الأمة.
8. أنّ من جهاد هؤلاء المنافقين: مقاطعة أوكارهم ومنتدياتهم، وهجرها، بل هدمها والقضاء عليها في حال القدرة على ذلك من قبل ولاية الأمر.

9. الحذر من تولية المنافقين مناصب حساسة في الدولة الإسلامية، عسكرية كانت أو مدنية، ومنعهم من الخروج للقتال مع المؤمنين في حال وجوب القتال، لما لذلك من آثار سلبية مدمرة.

10. - وهو في غاية الأهمية - أن التعامل مع المنافقين بهذه الأساليب المتنوعة يخضع للسياسة الشرعية، حسب ما يقتضيه الحال والمال، والزمان والمكان والأعيان، وليس بالضرورة الأخذ بها جميعاً في أن واحد أو مكان

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، والله ولي التوفيق، وصلى

وسلم على نبيّنا محمد.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- 1. الأثار في شمال الحجاز للدكتور حمود بن ضاوي القنّامي، ارياض: وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، الطبعة الثانية: 1404هـ

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار إحياء التراث العربي. بن محمد العمادي، بيروت :
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار ابن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر : بيروت، الطبعة : 1415 هـ - 1995 .
4. أوار التنزيل وأسرار التأويل لعبدالله بن عمر البيضاوي، بيروت: دار الفكر ، 1416هـ، تحقيق:
5. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر : بيروت.
6. البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، بيروت:
7. تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض السيد المرتضى الزبيدي، دار الفكر: بيروت: 1414 هـ ، دراسة وتحقيق: علي شيري.
8. التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي: بيروت، الطبعة 1404هـ.
9. تاريخ الدوعثمانية وعلاقتها الخارجية للدكتور علي حسن، المكتب الإسلامي: بيروت، الطبعة الثالثة: 1415هـ.
10. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، الطبعة 1421هـ.
11. تخریج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسر الكشاف للزمخشري لجمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، دار ابن خزيمة : الرياض ، الطبعة الأولى: 1414هـ، تحقيق:
12. تفسير السراج المنير لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني دار الكتب العلمية : بيروت.
13. تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1403هـ.
14. التوحيد للشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة: 1423هـ.
15. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي: الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، تحقيق: محمد زهري النجار.
16. جامع البيان في تأويل القرآن جريد الطبري: الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية: 1412هـ.
17. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي: الطبعة الثانية؛ بيروت: إحياء التراث العربي.

18. الدرر السنوية في الأجوبة النجدية لمجموعة من علماء نجد الأعلام، الطبعة السادسة: 1417هـ - 1996 :
19. الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي، بيروت: 1993 .
(الدرّ النضيد في تخريج كتاب التوحيد لصالح بن عبدالله العصيمي، دار ابن خزيمة: الرياض، الطبعة الأولى: 1413.
21. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، بيروت: المكتب 1 1423هـ.
22. زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي، بيروت: مؤسسة الرسالة - الكويت مكتبة المنار الإسلامية، ط 14 1407 - 1986، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -
23. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار الفكر: بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت.
24. سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة: بيروت، 1406هـ، تحقيق: بشار عواد ومحيي هلال.
25. السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة: مكتبة العلوم 6 1415هـ.
26. شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي: دمشق - بيروت، الطبعة الثانية: 1403هـ - 1983م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش.
27. صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دمشق دار القلم: 1 1401هـ. اعتنى به: مصطفى ديب البغا.
28. صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحق ابن خزيمة، بيروت: المكتب الإسلامي، ط 1 1391هـ، تحقيق: .
29. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: الرياض: 1422هـ.
30. الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي، مكتبة المعارف: الرياض، 1400هـ.
31. طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، القاهرة، المطبعة السلفية ومكبتها، 3 1400هـ. غني بمراجعته وإخراجه: محب الدين الخطيب.
32. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة: بيروت.

33. قواعد التفسير، جمعاً ودراسة 1 1417هـ.
34. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق: بيروت، : 1400هـ.
35. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود : بيروت، دار المعرفة.
36. كيف دخل التتر بلاد المسلمين .. الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية للدكتور سليمان بن حمد العودة، دار طي : الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ.
37. لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير : بيروت ، 1399 هـ 1979 .
38. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية : بيروت : 1419 هـ - 1998 م، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
39. لباب النقول في أسباب النزول لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر ابن محمد السيوطي، دار إحياء العلوم - بيروت.
40. لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور: القاهرة: دار المعارف. تحقيق: عبدالله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي.
41. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت: دار الفكر، 1412 هـ.
42. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب:
43. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية : بيروت ، الطبعة الأولى: 1413 هـ - 1993 م، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافى
44. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.
45. معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: الطبعة الأولى؛ الرياض: دار طيبة: 1409هـ. تحقيق وتخريج: محمد النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش.
46. معاني القرآن الكريم ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى : 1409، تحقيق :
47. المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب البراني، الموصل: مكتبة العلوم 2 1404 هـ ، تحقيق: المجيد السلفي.

48. معركة المصحف في العالم الإسلامي لمحمد الغزالي، مصر: دار نهضة مصر، الطبعة

49. المغرب في ترتيب المغرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، الطبعة الأولى: 1979م، تحقيق: محمود فاخوري، عبد الحميد

المعنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبدالله ابن أحمد بن قدامة المقدسي، بيروت: 1 1405هـ.

51. مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ - 2000 .

52. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، بيروت: 1 1418هـ، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني.

53. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف ابن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية: 1392هـ.

54. الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، بيروت: 2 1395هـ، تحقيق:

55. نظم الدرر في تناسق الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعن: ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية: 1415هـ. تخريج: عبدالرزاق المهدي.

56. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. [1؛ دمشق: 1415هـ. تحقيق:

• الرسائل العلمية:

1- (اختبارات ابن تيمية ونرجحاته في التفسير، من أول سورة المائدة إلى آخر سورة

الإسراء ، جمعاً ودراسة) لمحمد بن عبدالعزيز المسند. رسالة دكتوراه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1425هـ.

2- قواعد فقه التعلل مع المخالفين لسليمان الماجد، بحث طرح ورقة عمل في مؤتمر .. رؤية واقعية..ومعالجة موضوعية"،المنعقد بالرياض يوم الخميس: 24/5/1429هـ

2008/5/29

فهرس الموضوعات

.....
التمهيد: تعريف النفاق وأقسامه

المبحث الأول : المعالم الخاصّة

..... جهادهم :

..... الإغلاظ عليهم :

لعلم الثالث: ترك الصلاة عليهم أو القيام على قبرهم

..... : منعهم من الخروج للقتال مع المؤمنين

..... : إنكار التمتع في الموقف من بعضهم

..... : النهي عن ائخاذهم بطانة

..... : عدم قبول اعتذارهم إذا اعتذروا

المبحث الثاني : المعالم العامّة

..... : الإعراض عنهم، وموعظتهم، والقول البليغ لهم

..... : عدم طاعتهم، وترك أذاهم

..... : الحذر منهم

..... : مقاطعة أوكارهم ومنتدياتهم

..... : عدم الرضا عنهم مهما حلفوا من الأيمان

..... : التحذير من السماع لهم، والتأثر بما يبثونه من الشكوك والشبهات ..

..... : النهي عن المجادلة عنهم

..... الخاتمة

